العلاقة بين المثال النحوي والحياة الاجتماعية في كتاب سيبويه

إعداد الدكتورة

علا بنت ياسين علي البار

الأستاذ المساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية

العلاقة بين المثال النحوي والحياة الاجتماعية في كتاب سيبويه

علا بنت ياسين علي البار

اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية .

البريد الالكتروني: Oyalbar@Kau.edu.sa

الملخص:

يدرس البحث العلاقة بين المثال النحوي وبين الحياة الاجتماعية بجوانبها المختلفة في كتاب سيبويه. ويقف على أنواع المثال النحوي، والسياقات التعليمية التي ورد فيها؛ بهدف توضيح فائدته وبيان عدم تجرد السياق بأكمله من ملابسات ومناسبة الحياة الاجتماعية؛ إذ إن المثال المصنوع ذا العناصر المكررة ليس هو الأداة الوحيدة في توضيح القواعد، بل تتضافر معه أنواع أخرى من الأمثلة، إضافة إلى الشواهد التي تجعل السياق متكاملا، وتجعل اقتطاع المثال المصنوع ذا العناصر المكررة والحكم عليه بالجمود والتكرار حكمًا ناقصا. ثم سيلقي الضوء على فوائد المثال النحوي مع محاولة الاستفادة من تنوع مضامين المثال النحوي وتطبيق ذلك التنوع على تدريس النحو في لوقت الحاضر.

الكلمات المفتاحية: العلاقة – المثال – النحوي – الحياه – الاجتماعية – السياق – الشواهد.

The Relationship between the Syntactic Example and Social Life in Sibawayh's book

Aula Bent Yaseen Ali El-Bas

Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities,

King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia

E-mail:Oyalbar@Kau.edu.sa

Abstract

The research studies the relationship between the syntactic example and the social life in its various aspects in Sibawayh's book. It focuses on the types of the syntactic example, and the educational contexts in which it is mentioned. The purpose is to clarify its usefulness and to show that the entire context is not stripped of the circumstances and appropriateness of social life. As the manufactured example with repeated elements is not the only tool to clarify the rules. Yet, other types of examples are combined with it. In addition, the evidence makes the context integrated. Besides, cutting the manufactured example with repeated elements and judging it by inertia and repetition is considered an incomplete judgment. Then she will shed light on the benefits of the syntactic example with an attempt to benefit from the diversity of the

contents of the syntactic example and apply this diversity to teaching syntax at the present time.

Keywords:Relationship, Example, Syntax, Life, Social, Context, Evidence

المقدمة

المثال النحوي هو وسيلة توضيحية لشرح وتفسير القواعد، وطريقة لبيان التراكيب الصحيحة والضعيفة في هيئة نموذج لغوي تركيبي يعطي القاعدة في صورة لغوية. وقد لعب المثال النحوي وظائف متنوعة، وكان له أشكال وسياقات تعليمية مختلفة. ويصف بعض الدارسين المثال النحوي بالجمود والتكرار[١]، وكأنه محصور في زيد وعمرو، في حين يرى بعضهم الآخر وجود علاقة بين المثال النحوي والحياة الاجتماعية[٢]. وكما أن اللغة تشبه الكائن الحي في نموها وقوتها أو ضعفها أو موتها، وكذلك في تأثرها بمتغيرات الحياة[٣]، فلعلنا لا نجاوز الصواب إذا قلنا إن كتب النحو وقواعدها، وإن حكمها المنطق والقياس حينًا، إلا أنها لا تنفصل عن روح اللغة الحية، فلابد لها من أن تستقي من تلك الروح ومن بيئة اللغة، وبيئة أهلها، وألا تنفك عن اهتماماتهم وشؤون حياتهم، وإلا لم تكن الأمثلة التي تحتويها ممثلة للغة المحكية الحية. إن النظر في المثال المصنوع ذي العناصر المكررة مقتطعًا من سياقه التعليمي والأدوات الأخرى المساندة له في السياق هو الذي يقود للحكم على المثال ذي العناصر المكررة بالجمود والتكرار والجفاف.

ونظرًا لأهمية الموضوع في تكوين تصور عن المثال النحوي، وتكوين تصور عن طريقة استخدامه باعتباره أداة تعليمية للتوضيح، ولأهميته في الواقع التعليمي اليوم في تدريس النحو العربي وقف البحث على المثال النحوي في كتاب سيبويه باعتباره أول مؤلف نحوي متكامل يصل إلينا، ودرس أمثلته ليبحث في وجود علاقة

(١) ينظر: الربيعي، كريم عبد الحسين حمود. المثال النحوي المصنوع في العربية. دراسة تحليلية تقويمية. ٤٧. كلية التربية الأولى ابن رشد. جامعة بغداد. ١٤٢٥/ ٢٠٠٥.

(٢) ينظر: الملخ، حسن خميس. في التحليل الاجتماعي للظاهرة النحوية، المثال النحوي في كتاب سيبويه بين الدلالة الاجتماعية والقاعدة النحوية. مجلة كلية الدراسات الإسلامية العربية. ع٢٠ شوال ١٤٢١/ يناير ٢٠٠١.

(٣) ينظر: زيدان، جورجي. اللغة العربية كائن حي. ١٢. هنداوي. القاهرة. ٢٠١٦.

بين المثال النحوي والحياة الاجتماعية، ووقف كذلك على السياقات التعليمية التي ورد فيها المثال النحوي؛ حتى يتمكن من بناء تصور متكامل عن المثال النحوي باعتباره أداة تعليمية مهمة من نقطة الانطلاق الأولى في التأليف النحوي وحتى يومنا هذا. ومن المتوقع أن يخدم البحث معلمي اللغة العربية على المستوى التطبيقي لتحقيق التوازن بين المثال المصنوع ذي العناصر المكررة الذي يمكن أن نطلق عليه المثال الرمزي لشبهه بالرمز الرياضي، وبين المثال النحوي ذي الصلة بالحياة الاجتماعية.

وسيبدأ البحث بتعريف المثال ثم سيقف على أنواع المثال النحوي ووظائفه، ثم سيتحدث عن علاقة المثال النحوي بالحياة الاجتماعية في كتاب سيبويه، ثم سيعرض السياقات التعليمية للمثال النحوي ذي العناصر المكررة. وسيتحدث عن الفوائد التي أداها المثال المصنوع ذي العناصر المكررة في تعليم النحو. وأخيرا سيعطي البحث نظرة لتطبيق استخدام الأمثلة في تدريس النحو لتحقيق أكبر فائدة من استخدام هذه الأداة التعليمية متبعا في ذلك كله المنهج الوصفي مع مراعات الجانب التطبيقي للمنهج المعياري.

وقد سبقت دراسة المثال النحوي المصنوع في عدد من الأبحاث منها رسالة بعنوان: "**المثال النحوي المصنوع في العربية**" للباحث كريم الربيعي الذي تحدث فيها عن المثال النحوي المصنوع من جوانب مختلفة ومتعددة في كتب النحويين، وكانت العلاقة بين المثال النحوي والحياة الاجتماعية أحد الموضوعات الفرعية التي تناولها، فذكر بعضًا من النماذج التي كان المثال النحوي فيها متصلا بالحياة الاجتماعية كالجانب الديني والاقتصادي وغيرها من الجوانب الحياتية المختلفة، لكنه رغم ذلك أطلق صفة الجمود والجفاف والتكرار على الأمثلة النحوية[1].

(١) ينظر: الربيعي، كريم. المثال النحوي المصنوع في العربية، دراسة تحليلية تقويمية.٤٧ – ٥٠. جامعة بغداد. ١٤٢٥/ ٢٠٠٥.

كما تحدث حسن الملخ عن الأمثلة النحوية في كتاب سيبويه على وجه الخصوص، في مقال بعنوان: " **في التحليل الاجتماعي للظاهرة النحوية، المثال النحوي في كتاب سيبويه بين الدلالة الاجتماعية والقاعدة النحوية**"، لكنه درس تلك الصلة من منظور علم اللغة الاجتماعي؛ لذا جاء تناوله لها من زوايا مختلفة، وبمعايير وأسس ذات صلة بعلم اللغة الاجتماعي.

فدرس المثال باعتباره دالا يدل على مدلول نحوي أو صرفي أو صوتي أو معجمي، ولهذا الدال مرسل ومستقبل.

ثم ألقى الضوء على دور السياق الاجتماعي في إكمال الفراغات. كما ألقى الضوء على بعض المسائل الموجودة في عرف المجتمع ولها وجود نحوي، كالتعريف والتنكير وهي قضية عرفية اجتماعية لها أثر ووجود في المسائل النحوية، ودرسه على أساس المعيار والوصف؛ إذ ليس من الضروري أن نفترض أن كل أفراد المجتمع لديهم الصيغ الصوتية نفسها لكلمة معينة. وعلى أساس الثابت والمتحول باعتباره نموذجًا من الأثر الاجتماعي في المنهج النحوي واستنادًا على وجود الفصحى واللهجات الأخرى. وأشار في هذا السياق إلى التقدير والإضمار ضمن السياق الاجتماعي وقانون تقليل الجهد. كما أشار إلى أثر التغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ لذا ذهب إلى أن نحو البصريين نحو نص ثابت معزول غالبًا عن السياق، لكن نحو الكوفيين أقرب إلى مفهوم نحو السياق. ثم تناول الباحث دلالة المثال النحوي بين المجتمع والقاعدة، وتحدث بشكل مجمل عن المعاني التي تضمنتها أمثلة سيبويه من الكرم والعطاء والوفاء واللقاء، وافترض أن سبب كثرة استخدام اسمي عبد الله وزيد هي شيوع هذين الاسمين في مجتمع البصرة، ولا أعلم سبب عدم ذكره اسم "عمرو" رغم وروده بكثرة في الأمثلة النحوية.

ثم ذكر أن سيبويه لم يورد اسم عبد الله في سياق الذم من باب الاحتراس الديني. كذلك أورد إضافة الكنية للمؤنث دليلا على قبول المجتمع لهذا الأمر. وثم ذكر نموذجًا من الأمثلة تدل على الزي، والطعام، والصيد والرماية، والمعاملات، وبعض الأماكن. لكن إشارته لعلاقة مضمون الأمثلة بالحياة الاجتماعية كان مختصرًا موجزًا(١).

(١) ينظر: في التحليل الاجتماعي للظاهرة النحوية، المثال النحوي في كتاب سيبويه بين الدلالة الاجتماعية والقاعدة النحوية.

المبحث الأول

تعريف المثال النحوي

المثال في اللغة هو ما جُعِل مثالا، أي مقدارًا لغيره يحتذى به، وهو كذلك القالب الذي يقدر على مثله(١).

واصطلاحًا: عرفه الألوسي بأنه الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المستفيد ولو بمثال جعلي(٢). هو تركيب مصنوع يضعه النحويون تطبيقًا لقاعدة نحوية ومثالا عليها(٣). وهذان التعريفان كافيان لتوضيح الغاية من المثال النحوي؛ فهو ليس الأساس في التقعيد، بل هو السبيل لتوضيح القاعدة. وكل كلام العرب بعد عصر الاحتجاج يعد مثالا(٤).

أنواع المثال النحوي:

من خلال النظر في المثال النحوي في كتاب سيبويه يمكن تقسيمه إلى الأنواع الآتية:

١. **مثال مسموع:** ويمكن أن يطلق على ما ورد من أقوال العرب أمثلة مسموعة؛ وذلك لما وضحه اللغويون من أن كل ما يصلح شاهدًا يصلح مثالا من غير عكس(٥). ويُسبق هذا المثال بما يدل على كونه مسموعًا، نحو: "وزعموا أن

(١) ابن منظور، لسان العرب. مادة (مثل). ١١/ ٦١٢. ط٣. دار الفكر. ١٤١٤/ ١٩٩٤.
(٢) ينظر: الألوسي، السيد محمود. إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد. ٦٠. تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري. وزارة الأوقاف-الجمهورية العراقية. إحياء التراث الإسلامي. مطبعة الإرشاد – بغداد.
(٣) ينظر: الملخ، حسن خميس، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي. ١٤٤. دار الشروق. عمان-الأردن. ٢٠٠٢م.
(٤) تنظر: يسير، مأمون. الشاهد النحوي في معجم الصحاح للجوهري. جامعة النجاح.
(٥) ينظر: إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد. ٦١.

بعض العرب يقول: " هذا ابن عِرْسٍ مقبلٌ "[١]، ونحو: "وسمعت من أثق به من العرب يقول: " بُسِط عليه مرتان" وإنما يريد: بُسِط عليه العذاب مرتين"[٢]. ومن أمثلة ذلك أيضًا قول سيبويه: "وأما قولهم راشدًا مهديًّا، فإنهم أضمروا: اذهب راشدا مهديا"[٣]، وقال في موضع آخر: "واعلم أن العرب يقولون: قوم معْلُوجاء، وقوم مشيخة، وقوم مَشْيُوخاء"[٤].

ومما أورده سيبويه كذلك من أقوال العرب في كتابه قوله: "فمن ذلك قولهم: "هنَّ حواجُّ بيت الله"[٥]. فيستدلُّ فيما سبق بما سمعه من العرب، ويُظهر كون الكلام مسموعًا لا مقيسًا ما يستخدمه من عبارات قبله، نحو: وزعموا أن بعض العرب يقول، وسمعت من أثق به من العرب يقول، فمن ذلك قولهم. ونحو ذلك مما يدل على السماع عنهم، وإن لم يورد اسم من سمع عنه.

٢. **مثال مصنوع ذو عناصر مكررة:** ويمكن أن نطلق عليه المثال الرمزي –إن صح التعبير–تشبيهًا له بالرمز الرياضي. ويُسبق في السياق بما يدل على صنعه، نحو: ومن ذلك، ونحو قولك[٦]، وكأن تقول[٧]، وإن قلت[٨]. نحو قول سيبويه:" فإنك فإنك لو قلت: أزيدًا أنت ضاربه، وأعمرًا أنت مكرم أخاه"[٩]، وغير ذلك مما ورد نظيره بكثرة.

(١) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. ٢/ ٩٧. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط١. دار الجيل – بيروت.
(٢) السابق، ١/ ٢٣٠.
(٣) السابق، ١/ ٢٧١.
(٤) السابق، ٢/ ٣٥.
(٥) السابق، ١/ ١٠٩.
(٦) الكتاب. ١/ ١/ ١٢٣.
(٧) السابق، ١/ ٢٦.
(٨) السابق، ١/ ٢١.
(٩) السابق، ١/ ١٠٨.

٣. **مثال مصنوع ذو علاقة بالحياة الاجتماعية:** وأمثلته كثيرة في طيات البحث، نحو: بعت شائي شاة شاة"[١] و " حججت بتوفيق الله"[٢].

٤. **التمارين غير العملية:** وهي من المصنوع أيضًا إلا أنها مصنوعة لفظًا وتركيبًا أي أنها تفترض على سبيل التمرين والإحصاء ما يمكن أن يقال وتحكم عليه، كقوله: " أزيدٌ أن يضربه عمرو أمْثلُ أم بشرٌ "[٣].

وظائف المثال النحوي:

١. التوضيح:

وهو أحد أهم الوظائف التي يؤديها المثال النحوي. وقد ضرب الله تعالى لنا الأمثال في القرآن الكريم للتقريب والتوضيح، بحيث يصبح الأمر واضحًا بضرب المثال. وهذا ما يقوم به المثال النحوي فهو يوضح القواعد النحوية المجردة ويطبقها على نموذج لغوي مختصر يسهل يحفظه وتحليله.

كما استخدم أكثر من مثال في الموضع الواحد لهذه الغاية، ومن ذلك قوله: "أزيدًا أنت ضاربه، وأزيدًا أنت ضاربٌ له، وأعمرًا أنت مكرم أخاه، وأزيدًا أنت نازل عليه"[٤].

٢. الرمزية:

من المعلوم أن هناك تقاربًا بين التفكير النحوي والتفكير المنطقي، حتى ظهر الزعم باعتماد النحو على المنطق الأرسطي[٥]. لكن ما يمكن قوله في هذا المجال أن التفكير المنطقي ألقى بظلاله على كثير من العلوم؛ لأنه منهجية تفكير وتناول للعلوم على اختلافها، يقول تقي الدين السبكي عن علم المنطق: " وهو من

(١) السابق، ١/ ٣٩٣.
(٢) السابق ٢/ ٣٣٥.
(٣) السابق، ١/ ١٣١.
(٤) الكتاب. ١/ ١٠٨.
[٥] ينظر: عمر، أحمد مختار. البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر. ٣٥١. جامعة القاهرة. ط٦. عالم الكتب. ١٩٨٨.

أحسن العلوم وأنفعها في كلِّ بحث"[١]. ولعل رمزية المثال النحوي هي أحد الجوانب والطرق التي تظهر فيها منطقية النحو العربي، فالمثال النحوي دالة رمزية يستعمل كما يستعمل الرمز الرياضي س وص في المعادلات الرياضية؛ ليكون المثال دالا يدل على مدلولات متعددة. والدالة هي أحد مفاهيم علم المنطق التي قد تشترك فيها كثير من العلوم – كما هي كثير من أسس علم المنطق – إذ إن التفكير المنطقي تفكير يسير مع طبيعة البشر السليمة في التفكير ويتوازى مع التفكير العلمي المنهجي بالطبيعة[٢]. وتتمثل رمزية المثال النحوي أيضًا في دلالة كل كلمة فيه على جزء من القاعدة، ففي نحو قولنا: " ضرب زيدٌ عمرًا" يرمز "ضرب" للفعل الماضي الصحيح الآخر، ويدل "زيد" على الاسم الصحيح الآخر المنصرف أيضًا، وحالته في الجملة هنا الرفع، والاعتبارات الرمزية نفسها تنطبق على عمرو مع اختلاف موقعه الإعرابي في المثال. ومن الدلالات التي تدل عليها ألفاظ المثال النحوي: الاسمية والفعلية، والصحة والاعتلال، واللزوم والتعدي، والإفراد والإضافة، والبناء والإعراب، والتقديم والتأخير والحذف، التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، وغير ذلك مما يدل عليه كل مثال في موضعه.

وكما أن كتابة الكلمة المعنية بالتغيير أو الدراسة في المثال النحوي في كتب النحو الحديثة بلون مختلف تشد الانتباه إلى التغيير الحاصل فيها، فإن ثبات بعض الأسماء له دوره في تركيز الذهن على متغيرات التركيب دون متغيرات اللفظ. فتقليل المتغيرات اللفظية يساعد الذهن على ملاحظة المتغيرات التركيبية. ومن هنا تظهر أهمية المثال النحوي ذي العناصر المكررة في توجيه الملاحظة لمتغيرات التركيب وتوضيح القاعدة والاختلافات التركيبية اعتمادا على الرمز اللفظي المكرر.

(١)السبكي، أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي. فتاوى السبكي. ٦٤٤. دار المعرفة. بيروت- لبنان.

(٢) ينظر: السيد، هيثم. أسس المنطق الرمزي. ١٧. جامعة جنوب الوادي. ٢٠١٢.

٣. **الإحصاء:** لقد سلك الخليل بن أحمد منهج التقليبات في معجم العين؛ لإحصاء الجذور اللغوية[١]، ومن ثم بين المستعمل منها والمهمل. ومن المعروف أن سيبويه تتلمذ على يد الخليل وانتفع بعلمه في كتابه بشكل كبير[٢]، فاستخدمت الأمثلة النحوية للغرض الإحصائي نفسه، إذ جاء المثال النحوي لإحصاء التراكيب الصحيحة والخاطئة والشاذة والمستحيلة، والتراكيب المفترضة التي لم ينطق العرب بما يشابهها، وهي ما سمي لاحقا بالتمارين غير العملية. وهذه المنهجية تشبه فكرة التقليبات التي حصرت الجذور اللغوية. فكما قاموا بحصر الألفاظ، أحاطوا وحصروا التراكيب أيضًا مما قاله العرب، ومما يصحُّ على نسق كلامهم قياسًا وإن لم يرد مثله.

٤. **استحالة تركيب أو ضعفه أو عدم صحته:**

كان المثال النحوي – كما ذكر سابقًا–أداة لبيان التراكيب الضعيفة أو الشاذة أو المستحيلة، ويقد ورد في المثال لبيان نوعين من الصحة والاستحالة:

أ. **صحة المعنى واستحالته:**

ومما ورد في كتاب سيبويه قوله: "المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمسِ، وسآتيك غدًا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس"[٣]. ويكمل بقوله: "وأما المستقيم الكذب القبيح فأن نضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زيدًا يأتيك". وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسِ[٤]. فقد بين فيما سبق من الأمثلة المستقيم الحسن والمستقيم الكذب، والمحال من حيث المعنى.

(١) ينظر: بحر الدين، أوريل. آفاق المعاجم العربية. ٤٨. مكتبة لسان عربي. ٢٠٢٠.
(٢) الكتاب. ١/ ٢٥.
(٣) الكتاب. ١/ ٢٥.
(٤) السابق، ٢٦/١.

ب.صحة اللفظ والتركيب وضعفه:

ومن الأمثلة التي استخدم فيها المثال النحوي لبيان تركيب ضعيف قول سيبويه: "وذلك قولك: "زيد كم مرة رأيته.... فإن قلت: زيد كم مرة رأيت، فهو ضعيف إلا أن تُدخل الهاء، كما ضَعُفَ في قوله: " كله لم أصنع"[١].

قد أصبحتْ أم الخيار تدَّعي عليَّ ذنبًا كلُّه لم أصنعِ[٢]

" ولا يجوز أن تقول: ما زيدًا عبد الله ضاربًا. وما زيدًا أنا قاتلا؛ لأنه لا يستقيم"[٣].

"لأنك لو قلت: أزيدًا ضربت عمرًا وضربت أخاه" لم يكن كلامًا؛ لأن عمرًا ليس فيه من سبب الأول شيء ولا ملتبس به"[٤]. فكل هذه الأمثلة تُظهر إما تركيبًا صحيحًا، أو تركيبًا ضعيفًا لم يرد مثله عن العرب. فهي أحكام نحوية على لفظ المثال. والمثال النحوي في سياق بيان التراكيب الضعيفة والمستحيلة تركيبا ولفظًا له دور مهم؛ إذ لا يمكن إتمام السياق التعليمي إلا به؛ حيث إن العرب لم تنطق بمثل هذه التراكيب؛ لذا فليس هناك سبيل لبيان الضعف والاستحالة إلا بمثال مصنوع. والاكتفاء بما قالته العرب من الصواب دون التحذير مما يشابه التركيب بإسقاط أحد عناصره مما يضعفه، كما في " زيد كم مرة رأيت" بإسقاط الهاء يبعد المؤلَّف عن الإحصاء. ومنهجية الكتاب شملت الصحيح والضعيف والشاذ والمستحيل، وهذا أدعى للإحاطة وأقرب للإحصاء والشمولية.

٥. **تضافر الأمثلة:** فقد يذكر في مسألة واحدة عدد من الأمثلة لتوضيحها وبيانها. والأمثلة المقيسة المتنوعة في السياق الواحد على القاعدة تعطي فكرة عن اتساع مجال القياس وتساعد الذهن على إنشاء التركيب وفق القاعدة والأمثلة الواردة.

(١) السابق. ١/ ١٢٧.
(٢) السابق، ١/٨٥.
(٣) السابق، ١/ ٧١.
(٤) الكتاب. ١/ ١٠٧- ١٠٨.

وقد ورد ذلك كثيرًا في كتاب سيبويه، منها قوله: " ذلك قولك: "أزيدًا أنت ضاربه، وأزيدًا أنت ضاربٌ له، وأعمرًا أنت مكرم أخاه، وأزيدًا أنت نازل عليه"، **كأنك قلت:** أنت ضارب، وأنت مكرم، وأنت نازل"[١].

٦. المقارنة:

كان من الأدوار التي قام بها المثال النحوي المقارنة. فكان سيبويه يقارن بين تركيب وآخر، فيقول: " كما تقول، وكأنك قلت، وبمنزلة قولك"، ونحو ذلك مما يدل على مقارنة التراكيب وتشبيه بعضها ببعض. ومما ظهرت فيه هذه الوظيفة قوله: "وتقول كناهم، **كما تقول:** ضربناهم. وتقول: إذا لم نكنهم فمن ذا يكونهم، كما تقول: إذا لم نضربهم فمن يضربهم... فهو كائن ومكون، كما تقول: ضارب ومضروب"[٢]. فيقارن سيبويه بين " كان" الفعل الناقص وضرب الفعل التام في اتصاله بالضمير وفي الاشتقاق.

ومما كان فيه المثال النحوي مؤديًا دور المقارنة أيضًا قول سيبويه: "وتقول: أعبد الله أنت رسول له ورسوله؛ لأنك لا تريد بفعول ههنا ما تريد في ضروب؛ لأنك لا تريد أن توقع منه فعلا عليه، فإنما هو بمنزلة قولك: أعبد الله أنت عجوز له، وتقول: أعبد الله أنت له عديل وأعبد الله أنت له جليس؛ لأنك لا تريد به المبالغة في فعل، ولم تقل مجالس فيكون كفاعل، فإنما هذا اسم بمنزلة قولك: أزيدا أنت وصيف له أو غلام. وكذلك: "آلبصرة أنت عليها أمير"[٣]. ومن الأمثلة التي ظهر فيها دور المثال النحوي في المقارنة بين التراكيب والاستعمالات أيضًا قوله: " ألا ترى أنك تقول: أنت المائة الواهب، كما تقول: أنت زيدًا ضاربٌ"[٤].

(١) السابق، ١/ ١٠٨ -١٠٩.
(٢) الكتاب. ١/٤٦.
(٣) السابق، ١/ ١١٧.
(٤) السابق، ١/ ١٣٠.

المبحث الثاني

علاقة المثال النحوي بالحياة الاجتماعية

ورغم استخدام المثال الرمزي ذو العناصر المكررة في كثير من مواضع كتب النحو، إلا أن المثال النحوي كثيرا ما كان ذا علاقة بالحياة الاجتماعية. ومن خلال الوقوف على تلك العلاقة بين المثال النحوي والحياة الاجتماعية في كتاب سيبويه يمكن الوقوف على الجوانب الآتية:

١. البيئة وملابساتها:

أ. البيئة الطبيعية والجغرافية:

ظهرت العلاقة بين المثال النحوي والبيئة الجغرافية وظروفها الطبيعية، ومن المعروف أن الماء من متطلبات الحياة الأساسية للعرب، فالظروف البيئية للعرب من البيئة الصحراوية الحارة وعدم وفرة المياه يجعلها أكبر اهتماماتهم وذلك ظاهر في أمثلتهم، يقول سيبويه: "فإنك لو قلت:"...ألا ماءً باردًا"[١]، فالمثال لا يظهر الحديث عن الماء فحسب، بل عن برودته أيضًا وهو مناسب تمامًا للبيئة والحاجة الحياتية. كما تضمنت بعض الأمثلة الحديث عن السقاية في نحو: "سقيًا ورعيًا"[٢]. ومن الأمثلة التي تظهر فيها حاجتهم للماء أيضًا ذكره في باب الاستغاثة على وجه الخصوص: "يا للماء"[٣]، وفي ذكره في باب الاستغاثة دلالة على أحد الصور التي قد يصل إليها العربي في الصحراء من العطش والانقطاع، بحيث تصبح شيئًا يستغيث لأجل الحصول عليه. ومن الأمثلة التي تناسب البيئة وتدل عليها: " مررت بقاعٍ عَرْفجٍ كله"[٤]، و" البداوة أطيب ما تكون شهري ربيع"[٥].

---

(١) الكتاب. ١/ ٢١.
(٢) السابق، ١/ ٣١١.
(٣) السابق، ٢ / ٢٣١.
(٤) السابق، ٢/ ٢٤.
(٥) السابق، ١/ ٤٠٢.

وقد ظهرت في الأمثلة كذلك بعض العناصر والأدوات المأخوذة من البيئة منها ما مثل به سيبويه بقوله: "بريت القلم بالسكين"(١)، و"أدخل فوه الحجر"(٢). و"صككت الحجرين أحدهما بالآخر"(٣). فالقلم والسكين والحجارة أيضًا من العناصر الموجودة والمشاهدة في البيئة. وكذلك قوله: "له خاتمٌ حديدًا"، و "هذا خاتمٌ طينٌ كان قبيحًا"(٤)، و"مررت برجلٍ فضةٌ حلية سيفه"(٥)، و " أصبت القرطاس"(٦). كانت كلٌّ هذه من الأدوات المستخدمة في البيئة والعناصر الموجود فيها، وظهرت في المثال النحوي لتكون دلالة وشاهدًا على اتصال المثال النحوي بالحياة العربية وتمثيله لها.

ب.**البيئة الاجتماعية:**

هناك أمثلة كثيرة ذات علاقة بالمجتمع تعكس صورة عن الأمور الحياتية التي يعيشها المجتمع العربي، وتوضح شيئًا من مشاهدها، منها: لا غلام ولا جارية فيها(٧). ومثل ذلك أيضًا: من ذا قائمًا بالباب"(٨). وهذا رجل وامرأته منطلقان(٩). ويظهر أيضًا ذكر الدواهي والنوازل في أمثلتهم، كما في باب الاستغاثة: "يا للدواهي"(١٠). ومن الأمثلة التي ظهرت فيها انعكاسات الحياة الاجتماعية أيضًا استخدام الكنى: " سميته زيدًا، وكنيت زيدًا أبا عبد الله"(١١)، والعلاقات الاجتماعية كما في: " أي عبد الله زيدًا صاحبنا"(١٢). وبعض المواقف الحياتية كما في: " سُرِق

(١)الكتاب. ١٧٢/٢.
(٢) السابق، ١/ ١٨١.
(٣) السابق، ١/ ١٥٣.
(٤) السابق، ٢/ ٢٣.
(٥) السابق، ٢/ ٢٣.
(٦) السابق، ١/ ٢٩٥.
(٧) السابق، ٢/ ٢٨٤.
(٨) السابق، ٢/ ٦١.
(٩) السابق، ٢/ ٦٠.
(١٠) السابق، ٢/ ٢١٧.
(١١) السابق،١/ ٣٧.
(١٢)السابق، ١/ ٣٩.

عبدُ الله الثوبَ الليلة"[١]، و "أزيدًا أنت ضاربه"، و" أزيدًا أنت نازل عليه، وأعمرًا أنت أنت مكرم أخاه"[٢]، و "مررت برجل مكرم ورجل مهان"[٣]. كل هذا يعكس صورًا من من الحياة الاجتماعية دون تجريد أو اقتطاع عنها في التمثيل.

٢. **الصيد:** وهو من الممارسات التي اشتغل بها العرب أيًّا كان الغرض من ذلك الصيد. ومن الأمثلة الدالة عليه:" ومن ذلك أن تقول على قول السائل: كم صيد عليه؟ وصيد عليه يومان، و"صيد عليه الوحش في يومين"[٤]. و "صيد عليه يوم الجمعة غدوة"[٥]، و"مرر برجل معه صقرٌ صائدٍ به"[٦].

٣. **الترحال والسفر:** من المعروف عن العرب كثرة التنقل والترحال سواء كان سفرهم سعيا للماء أو الرعي أو التجارة، ومن الأمثلة التي ظهر فيها ذلك ما أورده سيبويه: " ومن ذلك أن تقول: كم سير عليه؟[٧]، " وذلك قولك: أقاعدًا وقد سار الركب"[٨]، و"مررت بمتاعك بعضه مرفوعًا وبعضه مطروحًا"[٩]. هذا رجل سائرٌ راكبًا دابة[١٠]. " ومثله: نحن قومٌ ننطلق عامدون إلى بلد كذا...[١١]و " ذهب زيدٌ راكبًا"[١٢]" وسُلِكَ به الطريق[١٣]، و"آلدار أنت فيها نازل"[١٤].

---

(١) الكتاب. ١/ ٤٣.
(٢) السابق، ١/ ١٠٨.
(٣) السابق، ١/ ٨٧.
(٤) السابق، ١/ ٢١١
(٥) السابق، ١/ ٢٢٣.
(٦) السابق، ٢/ ٤٩.
(٧) السابق، ١/ ٢١١.
(٨) السابق، ١/ ٣٤٠.
(٩) السابق، ١/ ١٥٢.
(١٠) السابق، ٢/ ٥١.
(١١) السابق، ١/ ٤٩.
(١٢) السابق، ١/ ٤٤.
(١٣) السابق، ١/ ٢٣٤.
(١٤) السابق، ١/ ١٠٩.

٤. **المقاييس:** ظهرت المقاييس التي استخدمها العرب في بيئتهم وحياتهم في الأمثلة النحوية، منها قول سيبويه: " وأما ما يرتفع من هذا الباب فقولك: "هو مني فرسخان"، و "هو مني فوت اليد" و"عدوة الفرس وغلوة السهم"[١]، و"عليه شعر كلبين كلبين دينًا"، و "لي ملء الدار خيرًا منك"[٢]، و"لي ملؤه من العسل"[٣]، و " كان البر البر قفيزين، وكان السمن منوين"[٤]

٥. **الأماكن:** " لقد ورد ذكر الأماكن بصفة عامة وهي ظروف المكان في الأمثلة النحوية، ومن هذا الباب [قولك]: بعت متاعك أسفله قبل أعلاه"[٥]. كما ورد ورد ذكر بعض الأماكن بأسمائها، نحو: هذا ثوبٌ نسج اليمن[٦]، وآلبصرة أنت عليها عليها أمير[٧].

٦. **الطعام:**

وقد ظهرت في أمثلة سيبويه أصناف مختلفة من الطعام، كالعسل والتمر والخبز واللحم والبر والسمن والماء واللبن. ومما ظهر فيه ذلك من الأمثلة: " وتقول: ما كل سوداء تمرة، ولا بيضاء شحمة"[٨]. " " وذلك قولك: كيف أنت وقصعة من ثريد"[٩]. و"... قولك: هذا راقود خلٍّ، عليه نحيٌ سمنًا"[١٠]. ومنه أيضًا قوله:" فإذا

(١) الكتاب. ١/ ٤١٥.
(٢) السابق، ٢/ ١٧٢، ١٧٣.
(٣) السابق، ٢/ ١٧٢، ١٧٣.
(٤) السابق، ١/ ٣٩٣.
(٥) السابق، ١/ ١٥٢.
(٦) السابق، ٢/ ١٢٠.
(٧) السابق، ١/ ١١٧.
(٨) السابق، ١/ ٦٥.
(٩) السابق، ١/ ٢٩٩.
(١٠) السابق، ٢/ ١١٧.

قلت: لا ماء ولا لبن"([1]). و" وتقول: كل لحمًا أو خبزًا أو تمرًا... وإن نفيت هذا قلت: لا تأكل خبزًا أو لحمًا أو تمرًا([2]).

٧. **الأسماء:** كان زيد وعمرو وعبد الله وطلحة وسلمة[3]. وقد كان اسمي زيد وعمرو من أكثر الأسماء دورانًا في أمثلتهم؛ ولعل سبب ذلك هو عدم الاهتمام بالتغير بقدر التركيز على تغير التركيب. وكون هذين الاسمين أشبه بالرمزين الرياضيين س وص – كما سبق أن وضحنا–حيث إن ثباتهما يعين على التركيز على دلالة المثال على القاعدة وعلى التغيرات التركيبية، ويبعد عن التشتت بسبب كثرة المتغيرات اللفظية.

٨. **القبيلة:**

ويظهر في أمثلة كتاب سيبويه ما يدل على التكوين القبلي للعرب، كالمشيخة، وأسماء بعض القبائل، ومن ذلك: " وذلك قولك: أتميميًّا مرة وقيسيًّا أخرى"[4]، وقوله: "إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا"[5]. كما تظهر بعض فئات المجتمع في: "إنا معشر الصعاليك لا قوة بنا على المروة"[6]. كما تظهر ملامح من حياتهم في المقام الاجتماعي كما في: " سادوك كابرًا عن كابر"[7].

٩. **الحرب:** وللحرب وجود كبير في حياة العرب وفي أدبهم وأشعارهم، وكذلك كان لها وجود في المثال النحوي، بأدواتها وعدتها، كالسهم والجيوش والخيل والسرج والقلنسوة والسيف. نحو: "سيرَ عليه مبعث الجيوش"[8]، و "رجلٍ رأيته سدد

(١) السابق، ٢/ ٢٩٠.
(٢) السابق، ٣/ ١٨٤.
(٣) الكتاب. ٢/ ٢٤٣.
(٤) السابق، ١/ ٣٤٣.
(٥) السابق، ٢/ ٢٢٣.
(٦) السابق، ٢/ ٢٣٥.
(٧) السابق، ١/ ٣٩٧.
(٨) السابق، ١/ ٢٣٤.

سهمه"[١]، و"مررت برجلٍ فضةٌ حلية سيفه"[٢]. ومما ورد من الأمثلة وكان ذا علاقة علاقة بالحرب: " هذا ضروب رؤوس الرجال"[٣]، ومنها ما امتدح الفارس: " يا لك فارسًا"[٤]، و " ما مثله في الناس فارسًا"[٥].

١٠. **الحيوانات:** تعامل العرب مع الحيوانات؛ فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ويلبسون، فجاء ذكرها في أمثلة النحو. وقد وردت الحيوانات الموجودة في البيئة سواء كانت مستأنسة أو وحشية، فكان مما ذكر فيه الإبل: " سقيت إبلك صغارها أحسن من سقي كبارها"[٦] و" الشاة والناقة" و: "أأن تلد ناقتك ذكرًا أحبُّ إليك أم أنثى"[٧]، و" وذلك قولك: هذه ناقة وفصيلها الراتعان، فهذا محال"[٨]، و"هذه شاةٌ ذات ذات حمل مثقلة"[٩]. والخيل والفرس في نحو: "هذا فرس أخوي ابنيك العقلاء الحلماء". وما يتعلق بها، نحو: "وذلك قولك: مررت بسرج خزٍّ صفته"[١٠]. و "مررت برجل ذاهبة فرسه مكسورا سرجها"[١١] والحمار" أتتني بدابة ولو حمارًا"[١٢]، " هذا صوتٌ صوت حمار"[١٣]. والحمام،" عليه نوحٌ نوح حمام"[١٤]، والظباء والبقر" الظباء على البقر"[١٥]. ومن الوحشي الأسد: "هذا أبو الحارث يعني الأسد"[١٦]، و "إن أسدًا

(١) السابق، ١/ ٢٩٥.
(٢)السابق، ٢/ ٢٣.
(٣) الكتاب. ١/ ١١٠.
(٤) السابق، ٢/ ٣٣٧.
(٥) السابق، ٢/ ١٧٢.
(٦) السابق، ١/ ١٥٢.
(٧) السابق، ١/ ١٣١.
(٨) السابق، ٢/ ٥٩.
(٩) السابق، ٢/ ٥١.
(١٠) السابق، ٢/ ٢٣.
(١١) السابق، ٢/ ٩٢.
(١٢) السابق، ١/ ٢٦٩.
(١٣) السابق، ١/ ٣٦٥.
(١٤) السابق، ١/ ٣٦٥.
(١٥) السابق، ٢٥٦/١.
(١٦) السابق، ٢/ ٩٤.

في الطريق رابضًا"[١]، وفي التحذير منه قالوا: " لا تدنُ من الأسد يأكلك"[٢] وابن آوى من السباع[٣]، وبنات أوبر وأبو جخاذب من الجنادب[٤]، وابن عرس وأم جبين جبين وأبو بريص من أحناش الأرض[٥].

١١. **الصفات:**

حمل المثال النحوي صفات خَلقية وخُلقية، فمن الصفات الخَلقية قوله: " كان زيد الطويل منطلقا"[٦]. أما بالنسبة للصفات الخُلقية فهي كثيرة فمن المعروف أن العرب كانت تتفاخر بالكرم والشجاعة والقوة والفصاحة، وكل ذلك ظهر في أمثلتهم. فمن الألفاظ التي ظهرت لديهم: فارس وكريم وعاقل ومررت برجل راحم للمساكين بار بوالديه[٧]. وكان من الصفات التي امتدح بها في المثال النحوي العلم والدين، قال سيبويه: "أنت الرجل علما وديناً"[٨].

كما أن المعايير والمفاهيم الاجتماعية قد برزت في أمثلتهم أيضًا فهم يمتدحون **الفارس** بقولهم "يا لك فارسًا"[٩]، و" ما في الناس مثله فارسًا"[١٠]. وكان **للشعر** عندهم مكانة **وللأدب** اهتمام بالغ، ومما جاء ممثلا للجانب الأدبي: "ليس خلق الله أشعر منه"[١١]، و "عبد الله أخطب ما يكون يوم الجمعة"[١٢]. وكانوا يقدرون **القوة.**

(١) السابق، ٢/ ١٤٣.
(٢) السابق، ٣/ ٩٧.
(٣) السابق، ٢/ ٩٥.
(٤) السابق، الموضع نفسه.
(٥) السابق، الموضع نفسه.
(٦) الكتاب. ١/ ٤٨.
(٧) السابق، ٢/ ١٣٠.
(٨) السابق، ١/ ٣٨٤.
(٩) السابق، ٢/ ٢٣٧.
(١٠) السابق، ١٧٢/٢.
(١١) السابق، ١٤٧/١.
(١٢) السابق، ١/ ٤٠٢.

ويظهر هذا في نحو: "أتاني رجل قوي"[١]، و "مررت برجل أسدٌ أبوه"[٢]، و " مررت بزيد أسدًا شدةً وجرأةً"[٣]. ومن الصفات التي اشتهر بها العرب وظهرت في الأمثلة أيضًا **الكرم كما في:** و "ما قدم علينا أمير إلا إنه مكرم لي"[٤]، و"نحن العرب أقرى الناس للضيف". و "أكرمته حذر أن أعاب"[٥]. و" ألا ترى أنك لو قلت: قلت: الذي يأتيني فله درهم، والذي يأتيني فمكرم محمود، كان حسنًا"[٦]. وظهرت كذلك التعاملات والعلاقات الاجتماعية **التي تدل على التواصل والمحبة:** "هو مني بمنزلة الشغاف من القلب"[٧]. والأمثلة التي تدل على الصفات حسنًا وقبحًا، نحو: "هذا ضاربٌ عاقلٌ أباه كان قبيحًا"[٨]، و"هذا فرس أخوي ابنيك العقلاء الحلماء"[٩]، و و "وازيد الظريف"[١٠].

كما ظهر في المثال النحوي الوصف بالرحمة والحلم، في نحو: " مررت برجل راحم للمساكين بارٍّ بوالديه"[١١]، و" كان إنسان حليما[١٢]"، و " مررت برجل حسنة أمه كريمًا أبوها"[١٣]. كما جاء المدح بنفي الصفات السيئة عن الشخص في المثال بقوله: " ليس زيد بجبان ولا بخيلا"[١٤].

(١) السابق، ١/ ٢١.
(٢) السابق، ٢/٢٩.
(٣) السابق، ١/ ٤٣٤.
(٤) السابق، ٢/ ٣٣.
(٥) السابق، ١/ ٣٨٧.
(٦) الكتاب. ١/ ١٣٩.
(٧) السابق، ١/ ٤١٥.
(٨) السابق،٢/ ٢٩.
(٩) السابق،٢/ ٥٩.
(١٠) السابق، ٢/ ٢٢٥.
(١١) السابق، ٢/ ١٣٠.
(١٢) السابق، ١/ ٤٨.
(١٣) السابق، ٢/ ٩٢.
(١٤) السابق، ١/ ٦٦.

١٢. **التعاملات التجارية:**

كانت مكانة التجارة معروفة لدى العرب، حتى إن رحلتي الشتاء والصيف ذكرت في القرآن الكريم. وكان من آثار ذكرها في أمثلة كتاب سيبويه " بعتُ الدار ذراع بدرهم"[١] و " بعته ربح الدرهم درهم"[٢] " البُرُّ مكنز عندي"[٣] و " البر أرخص أرخص ما يكون قفيزان"[٤] و "هذا ثوبٌ نسجَ اليمن "[٥] و"ذُهِبَ به إلى السوق"[٦]. و السوق"[٦]. و "بعت شائي شاةً شاة[٧]. كما تدل بعض الأمثلة على الأملاك: "مررت "مررت برجل مائة إبله"[٨]، و " هذا مالك ردهم"[٩].

١٣. **الدين:** كان للجانب الديني ظهور واضح في الأمثلة النحوية، وهذا أمر طبيعي، فالدين يمثل الهوية ليس للمؤلف فقط، بل للأمة كلها، وقد كان هو الأساس والمحرك الأول للدراسات والحراك العلمي اللغوي وغيره. فمن الأوصاف التي ذكرت في الأمثلة ولها صلة بالدين قوله: "مررت برجلين مسلمٍ وكافر"[١٠]، و"له علمٌ علم الفقهاء، وله حسب حسب الصالحين"[١١]، و " مررت برجلين صالح وطالح"[١٢]. ومن الأمثلة اللها علاقة بالدين أيضًا "زكاة ما له درهمًا لكل أربعين درهمًا". و"مررت بزيد الراكع ثم الساجد"[١٣] و"أعائذًا بالله من شرها"[١٤]، و "لبيك

(١) السابق، ١/ ٣٩٤.
(٢) السابق، الموضع نفسه.
(٣) السابق، ٢/ ٩٠.
(٤) السابق، ١/ ٤٠١.
(٥) السابق، ٢/ ١٢٠.
(٦) السابق، ١/ ٣٢٤.
(٧) السابق، ١/ ٣٩٣.
(٨) السابق، ٢/٢٩.
(٩) السابق،١/ ٣٩٦.
(١٠) الكتاب. ١/ ٤٣١.
(١١) السابق، ١/ ٣٦١.
(١٢) السابق، ٢/ ٨.
(١٣) السابق، الموضع نفسه.
(١٤) السابق، ١/ ٣٤١.

وسعديك[١]. وكذلك جاء أثر الحياة الدينية في بعض أمثلتهم، نحو "حججت بتوفيق الله"[٢]. و"هو خير منك أعمالا"[٣]. و"سبوح قدوس"[٤]، و"سبحان الله"[٥]، و" بك الله الله نرجو الفضل[٦]، و"سبحانك الله العظيم"[٧]، " و" سرت حتى أسمع الأذان"[٨]، "نهارك صائم وليلك قائم"[٩]، "الهلال ورب الكعبة"[١٠]. ومن الجوانب الدينية التي ظهرت في الأمثلة النحوية: الدعاء، ومن الأمثلة التي حملت هذا المعنى قول سيبويه: " وذلك قولك: "اللهم زيدًا فاغفر ذنبه" و"زيدا فأصلح شأنه"، و"عمرًا ليجزيه الله خيرًا"[١١]، "مبرورًا ومأجورًا"[١٢]. ومن ذلك أيضًا: زيدًا قطع الله يده، وزيدًا أمرَّ الله عليه العيش"[١٣]. "ونحو قولك: خيبةً وجدعًا، وعقرًا وبؤسًا، وبعدًا وسحقًا، ومن ذلك قولك: تعسًا وتبًّا وجوعًا"[١٤].

١٣. **الفلك:** كان من العلوم التي اشتهر بها العرب علم الفلك، ورغم عدم كثرة الأمثلة التي وردت للدلالة عليه، إلا أن هناك بعض الأمثلة الموجودة في كتاب سيبويه نابعة منها: "ما في السماء موضع كفٍّ سحابًا"[١٥].

(١)السابق، ١/ ٣٤٩.
(٢) السابق،٢/ ٣٣٥.
(٣) السابق،١/ ٢٠٣.
(٤) السابق، ١/ ٣٢٧.
(٥) السابق، ١/ ٣٤٩.
(٦) السابق، ٢/ ٢٣٥.
(٧) السابق، الموضع نفسه.
(٨) السابق، ٣/ ٢٧.
(٩) السابق،١/ ٤٠٠.
(١٠) السابق، ١/ ٥٧.
(١١) السابق،١/ ١٤٢.
(١٢) السابق،١/ ٢٧١.
(١٣) الكتاب. ١/ ١٤٢.
(١٤) السابق،١/ ٣١١.
(١٥) السابق، ٢/ ١٧٢.

١٤. **الزي:** القلنسوة، الثوب: " أعبد الله عليه ثوب، أكل يوم لك فيه ثوب"(١)، و "أدخلت رأسي في القلنسوة"(٢).

١٥. **الوقت:** ورد الوقت في أمثلة سيبويه بألفاظ مختلفة، كالغدوة والدهر والأبد والليل والنهار والساعة، ومن أمثلة ذلك: "صيد عليه يوم الجمعة غدوة"(٣). و"أتانا بعدما ذهبت عتمة من الليل"(٤). و"سير عليه ليل طويل"، و"سير عليه نهار طويل"(٥). ومن أمثلته أيضًا قوله: "أنك لا تقول: لقيته الدهر والأبد، وأنت تريد يومًا منه، ولا لقيته الليل وأنت تريد لقاءه في ساعة منه دون الساعات... "(٦).

(١) السابق، ١/ ١١٧.
(٢) السابق، ١/ ١٨١.
(٣) السابق، ١/ ٢٢٣.
(٤) السابق، ١/ ٢٢١.
(٥) السابق، ١/ ٢٢٠.
(٦) السابق، ١/ ٢١٧.

المبحث الثالث

السياقات التعليمية للمثال النحوي

من المهم أن نقف على المثال النحوي في سياقه التعليمي دون أن نقتطعه من ذلك السياق؛ لأن اقتطاعه واجتزاءه سيؤدي بالتأكيد إلى حكم مجحف عليه. ومن خلال النظر في السياقات التعليمية للمثال النحوي في كتاب سيبويه يمكن إجمالها في الآتي:

١. التمثيل لحكم لغوي معروف، كحكم الفاعل والمفعول والحال، نحو: ضرب زيد عمرًا، وجاء زيد راكبًا. هذا ما يجعل تكرار العناصر أمرًا مقبولا في سياقه.

٢. أن يأتي المثال سابقًا أو تاليًا **لشاهد شعري** على القضية النحوية. فإن قلت: أأنت تقول زيدٌ منطلق، رفعت؛ لأنه فصل بينه وبين حرف الاستفهام، كما فصل في قولك: أأنت زيدٌ مررت به؟ فصارت بمنزلة أخواتها، وصارت على الأصل. قال الكميت:

أجهالا تقول بني لؤي لعمر أبيك أم متجاهلينا[١]

فيظهر في هذا المثال أن سيبويه قد شرح وسفر القاعدة بذكر المثال المصنوع ذي العناصر المكررة بداية، ثم تلا ذلك بالبيت الشعري؛ ليكون شاهدًا على صحة ما مثل به.

٣. التمثيل به تاليًا لشيء من **أقوال العرب**، نحو:" وقد زعموا أن بعض العرب يقول " هذا ابن عِرْسٍ مقبل" فرفعه على وجهين. فوجه مثل: "هذا زيد مقبل"، ووجه على أنه جعل ما بعده نكرة فصار مضافًا إلى نكرة بمنزلة قولك: " هذا رجل منطلق"[٢]. ولا بأس في نحو ذلك. فالمثال النحوي جاء هنا تاليًا لقول من أقوال

(١) الكتاب. ١/ ١٢٣.
(٢) السابق، ٢/ ٩٧.

العرب، له علاقة ببيئتهم، فلا بأس في أن المثال الشارح له ليس متصلا بالحياة الاجتماعية اكتفاء بما قبله.

٤. التمثيل به للتراكيب الضعيفة:

لقد كان المثال النحوي أداة تستخدم للتمثيل على التراكيب الضعيفة وغير المستحسنة وغير الجائزة – كما أطلق عليها في الكتاب–، فهي غير مستخدمة عند العرب، ومن أمثلة ذلك استخدام اللام لمعنى التعدية، كما في تمثيلهم بـ: " ما أضرب زيدًا لعمرو " يقول الشاطبي: " لم يذكر أحد من المتقدمين – فيما أعلم –هذا المعنى للام"(١). فمثلوا بزيد وعمرو في هذا السياق لأن استخدام اللام في ذلك المعنى على نحو المثال المصنوع لم يرد، ولم يذكر أحد النحويين دلالته عليه.

وقد استخدموا للدلالة على التراكيب التي لم تستخدمها العرب لضعفها أحكام مختلفة، كالضعف، وعدم الجواز، وعدم الحسن. ومما استخدم فيه حكم (غير حسن) قوله: "وزعم أنه لا يحسن في الكلام: إن تأتيني لأفعلن"(٢)، ثم قال في موضع آخر: "ألا ترى أنك تقول: لئن أتيتني لا أفعل ذاك؛ لأنها لام القسم. ولا يحسن في الكلام: لئن تأتيني لا أفعل؛ لأن الآخر لا يكون جزمًا"(٣). وقد يطلق لفظ الضعف على تركيب في معنى دون غيره وتكون أداة توضيح ذلك أيضًا المثال المصنوع، كما في قوله: "واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله: إن تأتيني آتك وأعطيك ضعيف، وهو نحوٌ من قوله: وألحق بالحجاز فأستريحا. فهذا يجوز، وليس بحد الكلام ولا وجهه، إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا"(٤).

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة. ٢/ ٢٤. تحقيق: فاخر جبر مطر. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.
(٢) الكتاب. ٣/ ٦٥.
(٣) السابق، ٣/ ٨٤.
(٤) الكتاب. ٩٢/٣.

ومن الأحكام التي أطلقت على التراكيب، وأعطى المثال النحوي لها وجودًا هو الحكم بعدم الجواز، يقول سيبويه: " ولا يجوز أن تقول: ما زيدًا عبدُ الله ضاربًا؛ لأنه لا يستقيم(١).

ومن الأحكام التي أطلقت على التركيب الذي جسده المثال النحوي أيضًا لفظ المكروه، كما في قوله: "وأما يونس فيقول: أإن تأتني آتيك، وهذا قبيح يُكره في الجزاء، وإن كان في الاستفهام.

فكل هذه الأوصاف التي حكمت على التراكيب بالضعف أو الكره أو عدم الحسن؛ لعدم مطابقتها لاستعمال العرب تمكن المثال النحوي المصنوع من تجسيدها لغويا والتمثيل عليها، وهي من السياقات التي لا يمكن أداؤها وإكمالها بغير المثال المصنوع.

٥. أن يأتي في سياقات أمثلة مشابهة للتنويع **وتضافر الأمثلة**، بحيث يؤيد المثال المتنوع المثال المتكرر. فنجد أن سيبويه قد ذكر مجموعة من الأمثلة ذات العناصر المكررة ليضافر بعضها بعضًا، فقال: " وذلك قولك: " متى تقول زيدًا منطلقًا، وأتقول عمرًا ذاهبًا، وأكل يوم تقول عمرًا منطلقًا"(٢).

٦. يمثل به في الأمثلة المصنوعة لفظًا وتركيبًا أو **التمارين غير العملية** أي أنها تُفترض على سبيل التمرين والإحصاء ما يمكن أن يقال وتحكم عليه، كقول سيبويه: "وتقول: "مررت برجل معه امرأة ضاربها هو"، فكأنك قلت: معه امرأة ضاربها زيد"(٣).

وقد استخدم النحويون المثال النحوي المصنوع ذي العناصر المكررة في كتبهم، فلم يكن سيبويه منفردًا في استخدامه لها، ولم ينقد أحد من النحويين وجود المثال المصنوع إلا إذا كان من التمارين غير العملية التي انتقدها ابن مضاء

(١) السابق، ١/ ٧١.
(٢) السابق، ١ / ١٢٣.
(٣) الكتاب. ١/ ٥٣.

استنادًا على مذهبه الظاهري، وبناء على رفضه للقياس الذي لم تأت العرب بمثله، يقول: " إن الناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة، فكيف بالمظنون المستغنى عنه"(١). وقد انتقد ابن خلدون كتب النحويين بقوله: "كل همها القواعد الجافة والأمثلة المتجمدة والتمارين الذهنية، والمجادلات العقيمة، والاستطرادات الجانبية. فالمخالطون لهذه الكتب قلما يشعرون بأمر هذه الملكة أو ينتبهون لشأنها، فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه"(٢). ورغم أن لابن خلدون نظرة جيدة في نظرة لاكتساب اللغة والتركيز على ذلك، إلا أن ما يمكن أن يقال في هذا السياق هو وجود فرق بين النحو العلمي والتعليمي،

وأن النحويين قد قاموا بتيسير النحو في شروح ومختصرات لتناسب الطلبة والمتعلمين، فما هو من مسائل العلم ويتناوله العلماء لا يصح أن يعرض على الطلبة المبتدئين(٣).

فائدة المثال المصنوع المتكرر:

من المعلوم أنه يمكن استبدال "ضرب زيد عمرا" بغيرها من الأسماء والأمثلة، لكن استخدام المثال المصنوع المتكرر في بعض المواضع له هدفه وغايته التي يحققها في موضعه. فبعد معرفة تنوع المحتوى للمثال النحوي وملامسته الحياة الاجتماعية، وهذا ظاهر من تتبع أمثلة كتاب سيبويه – كما وضح البحث –. وبعد معرفة تعدد سياقات المثال النحوي، يمكن الآن الوقوف على فوائد استخدام المثال المصنوع المتكرر، وأهمها هي:

١. تركيز الذهن على مسألة النحوية دون الالتفات لمتغيرات الألفاظ.

(١) ابن مضاء، الرد على النحاة. ١٤٠. تحقيق: شوقي ضيف. ط٣. دار المعارف.
(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. ٥٦٠. ط٥. دار القلم. بيروت-لبنان. ١٩٨٤.
(٣) ينظر: صاري، محمد. تيسير النحو العربي ترف أم ضرورة، ١٦٧. مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثالث. العدد الثاني (ربيع الآخر ١٤٢٢/ يوليو- سبتمبر ٢٠٠١).

٢. فكرة ترميز المثال النحوي للدلالة على حالة معينة والمساعدة في ملاحظة متغيرات السياق بين مثالين مختلفين يدلان على مسألتين مختلفتين، كالتقديم والتأخير، أو الرفع والنصب، أو الاستفهام والشرط ... وإلى غير ذلك من متغيرات السياق والمعاني. فإن قلنا مثلا: محمد مجتهد، ثم قلنا محمد يجتهد، التفت الذهن للتغير اليسير الذي يدل على حالة جديدة، ولم ينصرف الذهن إلى جملة جديدة.

٣. المثال النحوي أشبه بالرمز الرياضي الذي يعين على الاختصار.

٤. تسهيل حفظ مجموعة من الأمثلة وتكوين نموذج لغوي بالتالي يمكن الاعتماد عليه في إنتاج اللغة بشكل سليم.

٥. أحد طرق تيسير عرض القواعد هو إعطاء مثال عليها.

٦. تحول القاعدة النظرية المجردة إلى واقع لغوي مجسد يمثل حالة، وتنطبق عليه تفاصيل واشتراطات القاعدة اللغوية، ويتسم بالاختصار وسهولة الحفظ. فليس بالضرورة أن تعين القاعدة المجردة في ضبط اللسان خاصة بعد البعد عن معين اللغة وعدم ممارستها، لكن المثال بسهولة حفظه يساعد القاعدة في هذه الوظيفة، وظيفة ترسيخ الاستخدام السليم بحفظ مثال.

التطبيق على تدريس النحو في الواقع:

لقد تطور دور المثال النحوي في العملية التعليمية اليوم، حيث تصدر في العملية التعليمية مؤخرًا وحده لعرض القواعد دون أن يسبق أو يلحق بشواهد فصيحة، فالوظيفة التي أصبح يؤديها المثال النحوي في واقع التدريس اليوم هو عرض القاعدة بداية ووضع نموذج عليها يوضحها؛ لأهمية هذه الوظيفة وزيادة الدور الذي يقوم به المثال النحوي في التعليم اليوم، أصبح من الضروري الموازنة في استخدامه بين المثال ذي العناصر المكررة وبين المثال ذي العلاقة بالحياة الاجتماعية، وأن تتم المراوحة في استخدامها بما يخدم العملية التعليمية، كأن يبدأ بالمثال الرمزي لتوضيح القاعدة، ثم يطبق على أمثلة ذات صلة وعلاقة بالحياة

الاجتماعية، ولكل دوره وسياقه وفائدته في العملية التعليمية. فالمثال الرمزي يركز الذهن على القاعدة والمثال المرتبط بالحياة سيكون له دور مهم في تعزيز فكرة القدرة على القياس وإنتاج اللغة والتعبير عن متطلبات الحياة ونواحيها المختلفة، وكفاءة اللغة للتعبير عن المتطلبات الحياتية المتجددة والمتغيرة بسهولة.

نتائج البحث

وفي نهاية البحث، وبعد أن درسنا المثال النحوي في كتاب سيبويه وعرفنا العلاقة بينه وبين الحياة الاجتماعية، ووقفنا على دور المثال ذي العناصر المكررة، تمكن البحث بالخروج بالنتائج الآتية:

١. فوائد المثال النحوي المصنوع باعتباره أداة تعليمية لها دورها ووجودها في النحو العربي.
٢. فكرة الترميز التي ظهرت في المثال المصنوع ذي العناصر المكررة، ليكون دالا على مدلولات، منها: اللزوم والتعدي، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والصحة والاعتلال.
٣. فكرة الدال والمدلول لها علاقة بالمنطق، الذي يؤثر في كل العلوم؛ لأنه من مطالب التفكير المنهجي.
٤. التشابه بين فكرة التقليبات ودور المثال النحوي في وظيفة الإحصاء، فكما استخدمت التقليبات الصوتية لإحصاء الجذور اللغوية، استخدم المثال لإحصاء التراكيب اللغوية.
٥. وجود علاقة بين كثير من الأمثلة المصنوعة والحياة الاجتماعية. وقد شملت تلك الصلة مختلف جوانب الحياة، كالبيئة الطبيعية، والحياة الاجتماعية، والحيوانات، والسفر، والصفات، وما يتعلق بالدين، والتجارة، وغير ذلك من جوانب الحياة.
٦. النظر للمثال النحوي في السياقات التعليمية المختلفة هو ما يبين فائدة المثال ذي العناصر المكررة، ويمكن من الاستفادة منه بالشكل المطلوب. وفي المقابل فإن اقتطاع المثال ذي العناصر المكررة من سياقه يُنتج حكمًا عليه بالجمود والتكرار.

٧. المثال النحوي في كتاب سيبويه كان مقترنًا بجملة من الأمثلة التوضيحية الإضافية أو الشواهد؛ لذا فإن الحكم على المثال النحوي بالجمود واقتطاعه من السياق الوارد فيه وتجريده منه غير صحيح.

٨. من أهم الأدوار التي يؤديها المثال ذي العناصر المكررة تركيز الذهن على متغيرات التركيب بتقليل متغيرات اللفظ.

٩. فائدة الجمع بين المثال ذي العناصر المكررة والمثال الحيوي القريب من الحياة الاجتماعية، بحيث يجمع بين فكرة الترميز الرياضي للتركيز على القاعدة، أو التمييز بين الحالات المتقاربة مع تغيرات سياقية.

المراجع

١. الألوسي، السيد محمود. **إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد**. تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري. وزارة الأوقاف–الجمهورية العراقية. إحياء التراث الإسلامي. مطبعة الإرشاد – بغداد.

٢. تيسير، مأمون. **الشاهد النحوي في معجم الصحاح للجوهري**. جامعة النجاح.

٣. ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**. ط٥. دار القلم. بيروت–لبنان. ١٩٨٤.

٤. الربيعي، كريم عبد الحسين حمود. المثال النحوي المصنوع في العربية. دراسة تحليلية تقويمية. كلية التربية الأولى ابن رشد. جامعة بغداد. ١٤٢٥/ ٢٠٠٥.

٥. زيدان، جورجي. **اللغة العربية كائن حي**. هنداوي. القاهرة. ٢٠١٦.

٦. السبكي، أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي. **فتاوى السبكي**. دار المعرفة. بيروت–لبنان.

٧. سيبويه، **الكتاب**. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت ـ لبنان.

٨. السيد، هيثم. **أسس المنطق الرمزي**. جامعة جنوب الوادي. ٢٠١٢.

٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة**. تحقيق: فاخر جبر مطر. دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.

١٠. صاري، محمد. **تيسير النحو العربي ترف أم ضرورة**. مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثالث. العدد الثاني (ربيع الآخر ١٤٢٢/ يوليو–سبتمبر ٢٠٠١).

١١. عمر، أحمد مختار. **البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**. جامعة القاهرة. ط٦. عالم الكتب. ١٩٨٨.

١٢. ابن مضاء، **الرد على النحاة**. شوقي ضيف. ط٣. دار المعارف. القاهرة.

١٣. الملخ، حسن خميس:

- في التحليل الاجتماعي للظاهرة النحوية، المثال النحوي في كتاب سيبويه بين الدلالة الاجتماعية والقاعدة النحوية. مجلة كلية الدراسات الإسلامية العربية. ع٢٠ شوال ١٤٢١/ يناير ٢٠٠١.
- **رؤى لسانية في نظرية النحو العربي.** دار الشروق. عمان–الأردن. ٢٠٠٢م.

١٤. ابن منظور، **لسان العرب.** ط٣. دار الفكر. ١٤١٤/ ١٩٩٤.